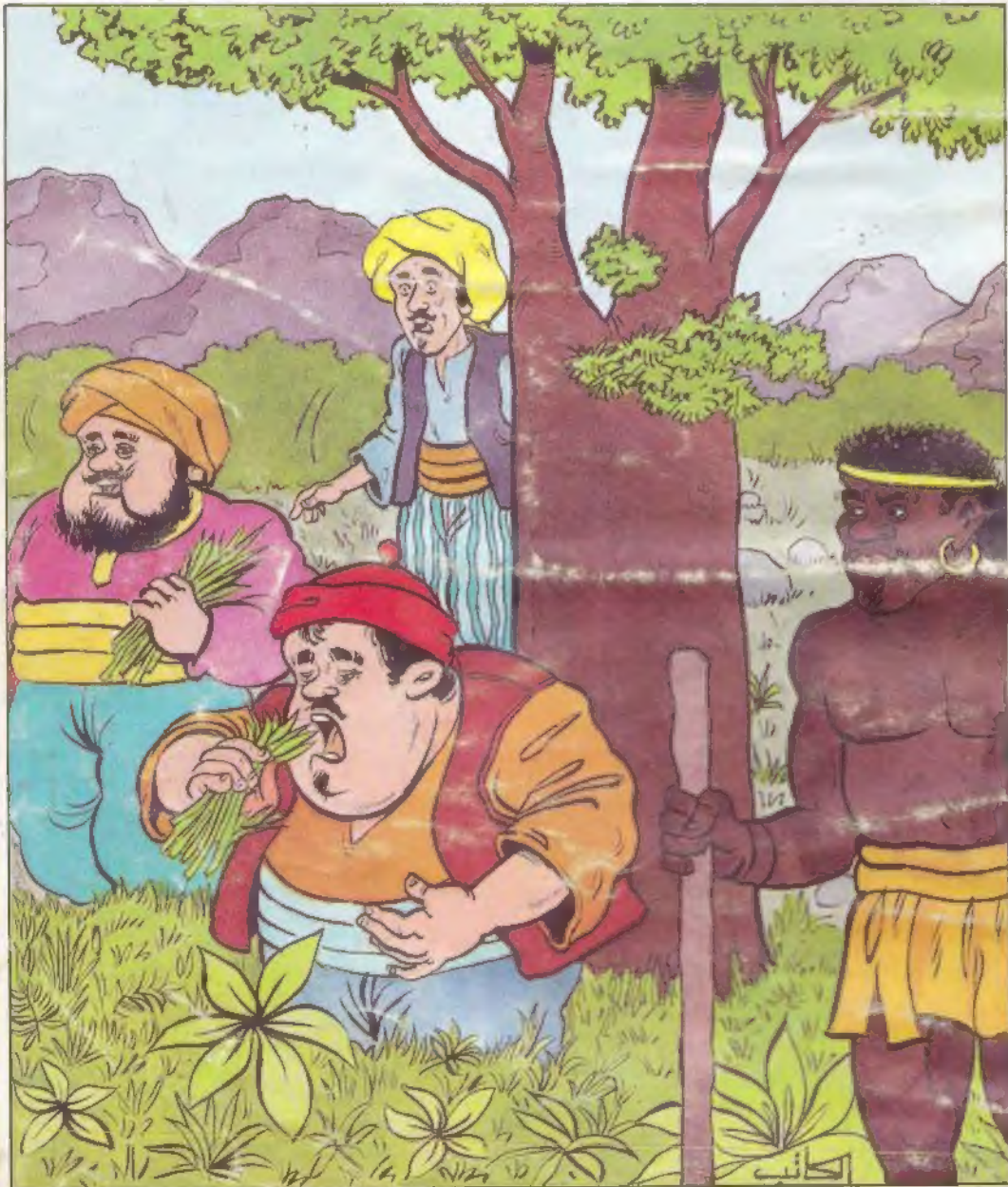


# مغامرات السندباد البحري

الرحلة الرابعة

تأليف: قاسم بن منهي



مكتبة الخضراء للأطفال

# مغامرات السندباد البحري

الرحلة الرابعة

تأليف: قاسم بن مهني  
رسوم: المنصف الكاتب  
فطرط: المنجي عمار







وَلَمَّا حَضَرَ الْحَمَالُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ قَالَ لَهُ السِّنْدَبَادُ الْبَحْرِيُّ:  
لَقَدْ عَاوَدَنِي الْهِنُّ إِلَى السَّفَرِ، وَمَالَتْ نَفْسِي إِلَى تَعَاطِي  
التَّجَارَةِ، فَحَمَلْتُ كَثِيرًا مِنَ الْبِضَاعَةِ إِلَى الْمِينَاءِ،  
وَشَحَنْتُهَا فِي إِحْدَى السُّفُنِ، ثُمَّ أَمْتَطَيْتُهَا مَعَ بَعْضِ  
التُّجَّارِ، وَلَمَّا حَانَ وَقْتُ الْإِبْحَارِ، انْطَلَقْتُ عَلَى بَرَكَاتِ  
اللَّهِ، تَنْزِلُ عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ.

كَانَتِ السَّفِينَةُ تَجُوبُ الْبَحْرَ الشَّرْقِيَّ، تَدْفَعُهَا  
رِيَّاحٌ هَادِيَةٌ، لَيْسَتْ، فَطَابَتْ لَنَا الرِّحْلَةُ، وَأَنْصَرَفَ  
بَعْضُنَا إِلَى التَّفَرُّجِ عَلَى مَخْلُوقَاتِ الْبَحْرِ الْعَجِيبَةِ، وَأَهْتَمَّ  
الْآخَرُونَ بِسَرْدِ الْحِكَايَاتِ، وَإِنْشَادِ الْأَشْعَارِ، وَتَبَادُلِ الْفُكَاهَاتِ.  
وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، بَيْنَمَا كُنَّا نَتَجَادَبُ أَطْرَافَ  
الْحَدِيثِ، إِذْ أَبْصَرْنَا الرَّبَّانَ يَظْهَرُ الْأَشْرَعَةَ، وَيَرْمِي  
الْمَرَّاسِيَّ، فَسَأَلْنَاهُ حَائِرِينَ:

- مَا حَدَثَ؟

- لَقَدْ تَغَيَّرَ اتِّجَاهُ الرِّيحِ فجأةً، وَأَخْشَى أَنْ تَشُورَ  
عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ.

وَأَنْهَمَكَ فِي عَمَلِهِ، تَبَدُّو عَلَى وَجْهِهِ عِلَامَاتُ الْخَوْفِ  
وَالذُّعْرِ، فَمَا هِيَ إِلَّا مُدَّةٌ قَصِيرَةٌ حَتَّى ثَارَ إِعْصَارٌ قَوِيٌّ،  
فَهَاجَ الْبَحْرُ، وَأَضْطَرَبَ الْمَوْجُ، وَذُعِرَ النَّاسُ، وَأَخَذُوا  
يَبْتَهِلُونَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الْعَاصِفَةِ.  
كَانَتِ الْأَمْوَاجُ الْعَاتِيَةُ كَالْجِبَالِ الشَّاهِقَةِ، تَتَسَابَقُ إِلَى السَّفِينَةِ،  
وَتُدَاهِمُهَا مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ، تَارَةً تَرْتَفِعُ بِهَا إِلَى أَعْلَى،

وَأُخْرَى تَدْفَعُهَا إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ، وَظَلَّتْ تَلْعَبُ بِهَا مُدَّةً  
مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ حَطَّمَتْهَا، فَغَاصَتِ الْبِضَاعَةُ، وَغَرِقَ  
جُدُّ الرُّكَّابِ، وَتَعَلَّقَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ بِالْأَخْشَابِ.

لَمْ أَسْتَطِعْ لِلْأَمْوَاجِ، بَلْ أَخَذْتُ أَقَاوِمُهَا، رَغَمَ عُنْفِهَا،  
وَلَمَّا وَجَدْتُ خَشَبَةً تَطْفُو فَوْقَ الْمَاءِ، تَشَبَّثْتُ بِهَا،  
فَسَارَتْ بِي حَيْثُ لَا أَذْرِي، وَأَنَا أَنْظُرُ مِنْ حِينٍ إِلَى آخَرِ  
حَوْلِي، لَا أَرَى مَا صَنَعَتِ الْعَوَاصِفُ بِرِفَاقِي.

بَعْدَ أَيَّامٍ، انْتَهَيْنَا إِلَى سَاحِلِ جَزِيرَةٍ بَجْهُولَةٍ، وَنَحْنُ نَكَادُ  
نَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ وَالتَّعَبِ، فَتَهَاكُنَّا عَلَى الرِّمَالِ، طَلَبًا  
لِلرَّاحَةِ، وَلَمَّا اسْتَعَدْنَا شَيْئًا مِنْ نَشَاطِنَا، قُمْنَا، وَسَرْنَا  
هَائِمِينَ عَلَى وُجُوهِنَا، نَبْحَثُ عَنِ الْغِذَاءِ، فَلَمْ نَجِدْ إِلَّا  
الْأَغْشَابَ، فَأَكَلْنَا مِنْهَا مَا سَدَّ رَمَقَنَا، وَشَرِبْنَا مِنَ الْمَاءِ الْعَذِيبِ  
مَا شَفَى غَلِيلَنَا، ثُمَّ عُدْنَا إِلَى الشَّاطِئِ، وَأَضْطَجَعْنَا عَلَى الرِّمَالِ،  
فَأَسْتَغْرِقْنَا فِي نَوْمٍ، لَمْ نَفِقْ مِنْهُ إِلَّا فِي الْغَدِ بَعْدَ  
طُلُوعِ الشَّمْسِ.

نَهَضْنَا عَلَى الْفُورِ، وَغَسَلْنَا وُجُوهَنَا وَأَطْرَافَنَا،  
وَمَشِينَا فِي أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ نَكْتَشِفُهَا، وَنَطَّلِعُ عَلَى  
مَا فِيهَا، وَلَمَّا أَنْتَهَيْنَا إِلَى رَبْوَةٍ عَالِيَةٍ، بَدَتْ لَنَا بِنَايَةٌ  
شَاهِقَةٌ، فَأَنْصَرَفْنَا إِلَيْهَا، نُمْنِي أَنْفُسَنَا بِالشَّبَعِ.

لَمَّا أَشْرَفْنَا عَلَى الْقَصْرِ، خَرَجَ إِلَيْنَا عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ  
السُّودِ، عُرَاةً، وَأَسْتَقْبَلُونَا أَحْرَارًا سَتَقْبَالِ، وَأَخَذُونَا  
إِلَى مَلِكِهِمْ، فَرَحَّبَ بِقُدُومِنَا، وَأَكْرَمَ مَشْوَانَا،





ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَحَدِ جُلَسَائِهِ إِشَارَةً خَاصَّةً، فَقَدَّمَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا  
حَشِيشَةً، وَدَعَانَا إِلَى أَكْلِهَا عَلَى أَنَّهُمَا مِنْ مَرَاثِمِ الضِّيَافَةِ عِنْدَهُمْ.  
تَظَاهَرْتُ بِتَنَاوُلِ الْحَشِيشَةِ، أَمَّا أَصْحَابِي فَبَادَرُوا  
بِأَكْلِهَا فِعْلًا، فَزَاغَتْ أَبْصَارُهُمْ، وَشَرَدَتْ عُقُولُهُمْ،  
عِنْدَ ذَلِكَ جَاءَهُمُ السُّودُ بِدُهْنِ النَّازِجِيلِ، وَسَقَوْهُمْ  
مِنْهُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ، فَصَارُوا كَالْبِلْهَةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ دَهَنُوا بِمَا  
بَقِيَ مِنْهُ أَجْسَادَهُمْ، ثُمَّ قَدَّمُوا لَهُمُ الْأُرْزَ الْمَطْبُوعَ بِهَذَا  
الدَّهْنِ، فَأَخَذُوا يَزْدَرِدُونَهُ كَالْمَجَانِينِ.

لَمْ أَتَنَاوَلْ مِنْ هَذَا الْأُرْزِ إِلَّا الْقَلِيلَ، رَغْمَ مَا لِي مِنْ  
الْجُوعِ الشَّدِيدِ، وَكُنْتُ أَتَنَاءَ ذَلِكَ أَنْظُرُ إِلَى أَصْحَابِي، وَأَرَى  
لِحَالِهِمْ، وَأَخْتَلِسُ النَّظَرَ مِنْ حِينٍ إِلَى آخَرٍ إِلَى هَؤُلَاءِ  
الْعُرَاةِ، فَيَمْتَلِئُ قَلْبِي بِالْفَزَعِ، لِبَشَاعَةِ مَنَاطِرِهِمْ،  
وَدَمَامَةِ خَلْقِهِمْ.

بَعْدَ قَلِيلٍ، أَوْمَأَ الْمَلِكُ إِلَى أَحَدِ جُلَسَائِهِ، فَسَاقَنَا أَمَامَهُ  
كَقَطِيعٍ مِنَ الْخُرَفَانِ إِلَى الْمَرَاعِي، فَمَا إِنِ حَلَلْنَا بِهَا حَتَّى أَخَذَ  
رِفَاقِي يَتَنَاوَلُونَ مَا يَجِدُونَ أَمَامَهُمْ مِنَ الْأَعْشَابِ، فَمَا هِيَ إِلَّا  
أَيَّامٌ حَتَّى سَمِنْتُ أَبْدَانَهُمْ، أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ لَا أَكُلُ إِلَّا مَا  
يَسُدُّ الرَّمَقَ إِبْقَاءً عَلَى حَيَاتِي، فَأَشْتَدُّ هُزْلِي، وَتَنَاقُصُ  
عِظَامِي، فَأَصْبَحَ الرَّاعِي لَا يَهْتَمُّ بِي، وَيَتْرُكُنِي  
أَذْهَبُ حَيْثُ أُرِيدُ.

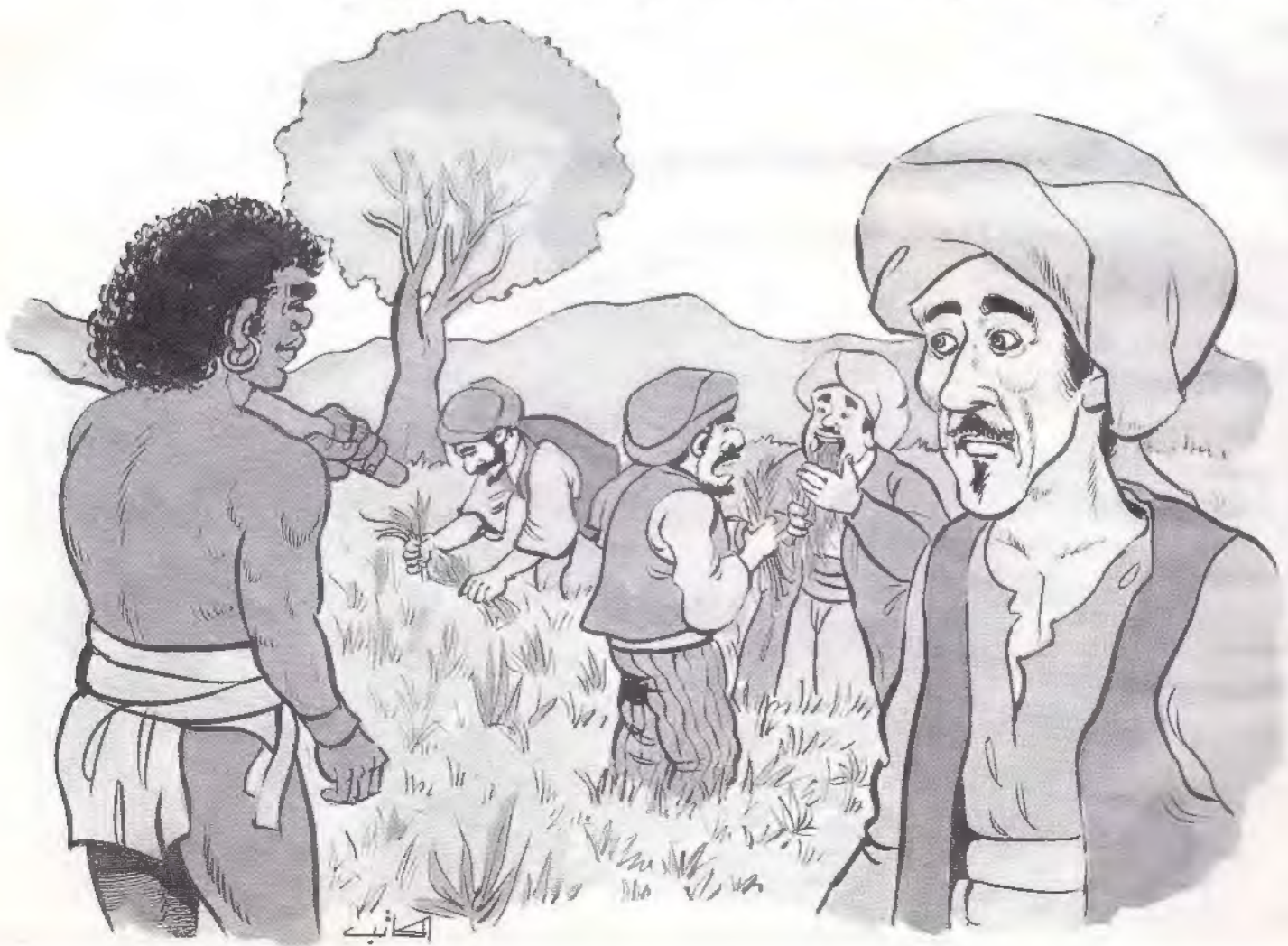
أَخَذْتُ أَتَجَوَّلُ فِي أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ، أَلْتَمِسُ لِنَفْسِي  
طَرِيقَ الْخُرُوجِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَتَفَطَّنَ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ



السُّودِ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، لَمَّا أَنْتَهَيْتُ إِلَى إِحْدَى الرِّوَايِ  
أَعْتَلَيْتُهَا، وَأَمَعْنْتُ النَّظَرَ حَوْلَهَا، فَأَبْصَرْتُ عَلَى سَفْحِهَا  
أُنَاسًا يَزْعَوْنَ الْعُشْبَ كَالْحَيَوَانَاتِ، يَرْقُبُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ.

كَانَ هَؤُلَاءِ النَّاسُ فَاقِدِي الْعُقُولِ كَرَفَاقِي، لَا  
يَذُرُونَ مَا يَفْعَلُونَ، وَلَا يَعْرِفُونَ مَا يَصْنَعُونَ، وَقَدْ  
تَضَخَّمَتْ أَجْسَامُهُمْ، وَاكْتَنَزَتْ شَحْمًا وَلَحْمًا.

كَانَ الرَّجُلُ الْمُكَلَّفُ بِحِرَاسَتِهِمْ يَنْظُرُ إِلَيَّ مُسْتَعْرِبًا،  
وَلَمَّا تَيَقَّنَ أَنِّي أَتَمَتُّعُ بِمَدَارِكِي الْعَقْلِيَّةِ، وَأَتَصَرَّفُ فِي  
خَوَاصِي تَصَرَّفَ السَّلِيمِ، أَشَارَ إِلَيَّ بِالدُّنُورِ مِنْهُ،  
فَسِرْتُ إِلَيْهِ تَتَنَازَعُنِي مَشَاعِرُ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ،  
وَمَا إِنِّي وَقَفْتُ قُدَّامَهُ حَتَّى قَالَ لِي:





- أَتَدْرِي لِمَ أَسُوقُ كُلَّ يَوْمٍ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ إِلَى الْمَرَاغِي؟  
- لَا.

- لَتَزْدَادَ أَجْسَامُهُمْ سَمَانَةً، وَضَخَامَةً، لِأَنْزِ مَلِكَنَا  
وَحَاشِيَّتَهُ لَا يَسْتَسْفُونَ إِلَّا اللَّحْمَ السَّمِيكَ،  
وَهُمْ يُفَضِّلُونَهُ مَطْبُوحًا، أَمَّا سَائِرُ النَّاسِ  
فَيَأْكُلُونَهُ نَيًّا.

إِفْشَعَرَّ بَدَنِي، وَقُلْتُ لَهُ:

- أَتَأْكُلُونَ اللَّحْمَ الْبَشَرِيَّ؟!

- إِنَّهُ الطَّعَامُ الْمَفْضَّلُ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، فَأَنْجُ  
بِنَفْسِكَ وَإِلَّا أَكَلْتُ.

- هَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلْهَرَبِ؟

- أَسْبَلُكَ ذَلِكَ الْمَعْبَر، فَإِنَّهُ سَيُوصِلُكَ إِلَى الطَّرِيقِ الرَّئِيسِيَّةِ.

- شُكْرًا لَكَ عَلَى هَذِهِ النَّصِيحَةِ.

وَسِرْتُ فِي الطَّرِيقِ الضَّيِّقَةِ، تَارَةً أُجْرِي، وَأُخْرَى

أَمْشِي، وَلَمَّا عَضَّنِي الْجُوعُ الشَّدِيدُ بِنَائِهِ، قَصَدْتُ

أَحَدَ الْحُقُولِ وَأَكَلْتُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ، ثُمَّ وَاصَلْتُ السَّيْرَ

غَيْرَ عَائِي بِالْإِزْهَاقِ وَالْتَّعَبِ. وَلَمَّا أَرَخَيْتُ اللَّيْلَ

سُدُولَهُ عَلَى الْكَوْبِ، اسْتَلْقَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ، إِلَّا أَنَّ

النَّوْمَ لَمْ يَحُمْ حَوْلِي لِشِدَّةِ الْخَوْفِ، فَبَقَيْتُ سَاهِرًا

إِلَى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ سِرْتُ هَائِمًا عَلَى وَجْهِهِ،

قَرِيبَ الْقَلْبِ، إِلَى أَنْ رَمَتْ بِي الْأَقْدَارُ فِي بَلَدٍ فَيَسِيحُ الْأَرْجَاءِ.

مَضَتْ سَبْعَةُ أَيَّامٍ، وَأَنَا أَسِيرُ نَهَارًا، وَأَبِيتُ لَيْلًا



عَلَى أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ بَدَتْ  
 لِي ضَيْعَةٌ فَسِيحَةٌ، فَقَصَدْتُهَا، وَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهَا  
 اخْتَفَيْتُ خَلْفَ جُدُوعِ الْأَشْجَارِ، وَأَخَذْتُ أَتَأَمَّلُ  
 فِي عَدَدِ مَنْ الرِّجَالِ، يَنْتَقِلُونَ جِيئَةً وَذَهَابًا  
 بَيْنَ النَّبَاتَاتِ، وَلَمَّا تَحَقَّقْتُ أَنَّهُمْ تُجَّارُ الْفُلْفُلِ،  
 كِدْتُ أَطِيرُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، وَهَرَوْتُ نَحْوَهُمْ  
 مُنْبَسِطَ الْأَسَارِيرِ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ،  
 فَردُّوا عَلَيَّ السَّلَامَ مُبْتَسِمِينَ، وَرَحَّبُوا بِقُدُومِي،  
 وَسَأَلُونِي عَنْ قِصَّتِي، فَرَوَيْتُهَا لَهُمْ، فَقَالُوا لِي:  
 - تَكَادُ تَكُونُ نَجَاتَكَ مِنْ أَكَلِي لُحُومِ الْبَشَرِ  
 مُعْجِزَةً، إِذْ لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْ جَنَابَتِهِمْ سَالِمًا.





- لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ الَّذِي خَلَصَنِي مِنْ شَرِّهِمْ .  
- أَتُرِيدُ أَنْ نَأْخُذَكَ إِلَى الْمَلِكِ ؟  
- بَلْ يَسُرُّنِي أَنْ أُمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ .  
- تَعَالَ مَعَنَا إِلَيْهِ .

- لِنَنْصَرِفْ عَلَى بَرَكَاتِهِ .

وَسِرْنَا بَيْنَ الْمَزَارِعِ وَالْحُقُولِ ، لَا نَتَحَدَّثُ إِلَّا عَنْ أَوْلِيكَ  
السُّودِ ، وَقَبْلِ الْغُرُوبِ ، انْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَاسِعَةٍ  
الشَّوَارِعِ ، عَالِيَةِ الْبُنْيَانِ . فَسَلَكْنَا الشَّارِعَ الْفَسِيحَ ، النَّظِيفَ ،  
الْجَمِيلَ ، وَلَمَّا بَلَّغْنَا الْقَصْرَ الْعَظِيمَ ، أَدْخَلَنِي التُّجَّارُ عَلَى  
الْمَلِكِ ، فَأَخْتَفَى بِي ، وَأَكْرَمَنِي غَايَةَ الْإِكْرَامِ ، وَهَنَّا بِي بِالسَّلَامَةِ ،  
وَقَدَّمَنِي إِلَى وُزَرَائِهِ وَعُظَمَاءِ دَوْلَتِهِ .

أَقَمْتُ بِالْقَصْرِ ضَيْفًا عِنْدَ الْمَلِكِ ، فَعَمَّرَنِي بِوَدِّهِ وَإِحْسَانِهِ ،  
وَسَعَى إِلَى التَّرْفِيهِ عَنِّي بِمَا تَوَقَّرَ عِنْدَهُ مِنَ الْوَسَائِلِ ، وَكَثِيرًا  
مَا كَانَ يَضْطَحِبُنِي مَعَهُ فِي الْجَوْلَاتِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا فِي  
الْعَاصِمَةِ ، فَلَا حَظُّ أَنْ السُّكَّانَ عَلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ  
الْحَضَارَةِ وَالثَّقَدِمِ ، وَحُسْنِ الْأَخْلَاقِ ، وَقَدْ لَفَّتْ نَظْرِي أَنَّهُمْ  
يَرْكَبُونَ الْخُيُولَ مِنْ دُونِ سُرُوجٍ ، وَلَا أَلْجَمَةِ ، فَسَأَلْتُ مَلِكَهُمْ  
عَنْ سِرِّ هَذَا الْأَمْرِ ، فَأَجَابَنِي :

- نَحْنُ لَا نَعْرِفُ السُّرُوجَ وَلَا الْأَلْجَمَةَ .  
- يَا جَلَالَةَ الْمَلِكِ ، أَتُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَهَا لَكُمْ ؟  
- عَجِّلْ ، وَلَكَ الْمُكَافَأَتُ الْهَامَّةُ .  
- سَأُشْرِعُ فِي عَمَلِهَا الْآنَ .

وَأَسْتَعَنْتُ بِتَجَارٍ وَحَدَادٍ ، وَأَنْغَمَسْنَا فِي الصَّنَاعَةِ ،  
فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَاتٌ حَتَّى صَنَعْنَا السَّرِجَ الْأَوَّلَ الْجَمِيلَ ،  
وَاللِّجَامَ الْحَسَنَ الْبَدِيعَ ، فَأَخَذْتُهُمَا إِلَى الْمَلِكِ ، فَعَبَّرَ لِي عَنْ  
إِعْجَابِهِ بِهِمَا ، وَشَكَرَنِي ، وَأَمَرَ لِي بِالْهَدَايَا الثَّمِينَةِ ، وَقَرَّبَنِي  
مِنْ تَحْلِيسِهِ .

وَمَا إِنْ رَأَى الْوُزَرَءُ ، وَالْقَوَادُّ ، وَعُظَمَاءُ الدَّوْلَةِ مَا صَنَعْتُ  
لِلْمَلِكِ حَتَّى طَالَبُونِي بِأَنْ أَصْنَعَ لَهُمُ السُّرُوجَ وَالْأَلْجَمَةَ ، فَتَفَرَّغْتُ  
لِصْنَعِهَا ، وَقَدْ دَرَّتْ عَلَيَّ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ ثَرْوَةٌ طَائِلَةٌ ، وَشُهْرَةٌ  
وَاسِعَةٌ .

أَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ أَقِيمَ بَيْلَدِهِ ، فَدَعَانِي ذَاتَ يَوْمٍ ، وَقَالَ لِي :  
- أَيُّهَا الْفَتَى ، أَتَرْغَبُ فِي الزَّوْاجِ مِنْ فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ ، حَسَنَةٍ ،  
تَنْتَسِبُ إِلَى أُسْرَةٍ عَرِيقَةٍ فِي الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ ؟  
عَقَدَ الْحَيَاءُ لِسَانِي ، فَإِذَا أَنَا مُطَرِّقٌ إِلَى الْأَرْضِ ، لَا أَتَجَرَأُ  
عَلَى إِجَابَةِ الْمَلِكِ ، فَأَعَادَ عَلَيَّ سُؤَالَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً ، عِنْدَئِذٍ  
أَجَبْتُهُ إِلَى طَلِبِهِ ، فَأَرْسَلَ مِنْ قُورِهِ رَسُولَهُ إِلَى الْقَاضِيِ  
وَالشُّهُودِ ، وَلَمَّا حَضَرُوا أَمَرَهُمْ بِكِتَابَةِ عَقْدِ زَوَاجِي ، وَأَعَدَّ  
مَنْزِلًا لِإِقَامَتِي ، أَثَثَهُ بِأَثْمَنِ الْأَثَاثِ ، وَأَنْفَسَ الرِّيَاشِ ،  
وَكَلَّفَ عَدَدًا مِنَ الْعَبِيدِ بِالْقِيَامِ عَلَى خِدْمَتِي ، وَرَتَّبَ لِي  
جَرَايَةً مِنْ خِزَانَتِهِ ، فَتَنَعَّمْتُ بِلَيْنِ الْعَيْشِ ، مَعَ زَوْجَتِي  
شَرِيفَةِ النَّسَبِ ، عَالِيَةِ الْقَدْرِ ، صَاحِبَةِ الْعِفَّةِ وَالْجَمَالِ ،  
وَالْجَاهِ وَالْمَالِ ، وَقَدْ أَلَسْتَنِي مَا قَاسَيْتُهُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ .  
وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، تُوفِّيتُ زَوْجَةً جَارِيَةً ، فَذَهَبْتُ



إِلَى دَارِهِ لِأَعَزِّيهِ، فَوَجَدْتُهُ يَبْكِي بُكَاءَ الْفَطِيمِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ:

- أَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُطِيلَ عُمرَكَ، وَيَرْحَمَ الْفَقِيدَةَ، وَيُعَوِّضَكَ عَنْهَا خَيْرَ الْعَوَاضِ.

فَأَجَابَنِي وَهُوَ لَا يَنْقَطِعُ عَنِ الْبُكَاءِ:

- مَتَى سَأَجِدُ عَوْضًا عَنْ زَوْجَتِي، وَأَنَا مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ؟

فَتَوَقَّعْتُ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ هَذَا الْكَلَامَ، إِلَّا تَغْيِيرًا عَنْ حُزْنِهِ الشَّدِيدِ لِفَقْدِ زَوْجَتِهِ، فَأَخَذْتُ أُسْلِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ:

- هَوِّنْ عَلَيْنَا، وَإِلَّا عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْخَطَرِ.

- أَيُوجَدُ خَطَرٌ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي يَنْتَظِرُنِي فِي الْمَسَاءِ؟

- مَنْ أَنْبَأَكَ بِأَنَّكَ سَتَمُوتُ فِي هَذَا الْوَقْتِ؟

- أَلَا تَعْلَمُ أَنَّنِي سَأُذْفَنُ حَيًّا مَعَ زَوْجَتِي جَرِيًّا عَلَى الْعَادَةِ؟

- أَيْمَ عَادَةٍ تَعْنِي؟!

- لَقَدْ جَرَى الْعَمَلُ فِي هَذَا الْبَلَدِ عَلَى دَفْنِ الزَّوْجَيْنِ

مَعًا عِنْدَمَا يَمُوتُ أَحَدُهُمَا.

- أَحَقًّا مَا تَقُولُ؟

- إِنْ كُنْتَ لَا تُصَدِّقُنِي، فَسَلْ مَنْ شِئْتَ مِنْ أَهْلِ

الْمَدِينَةِ يُنْبِئُكَ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ.

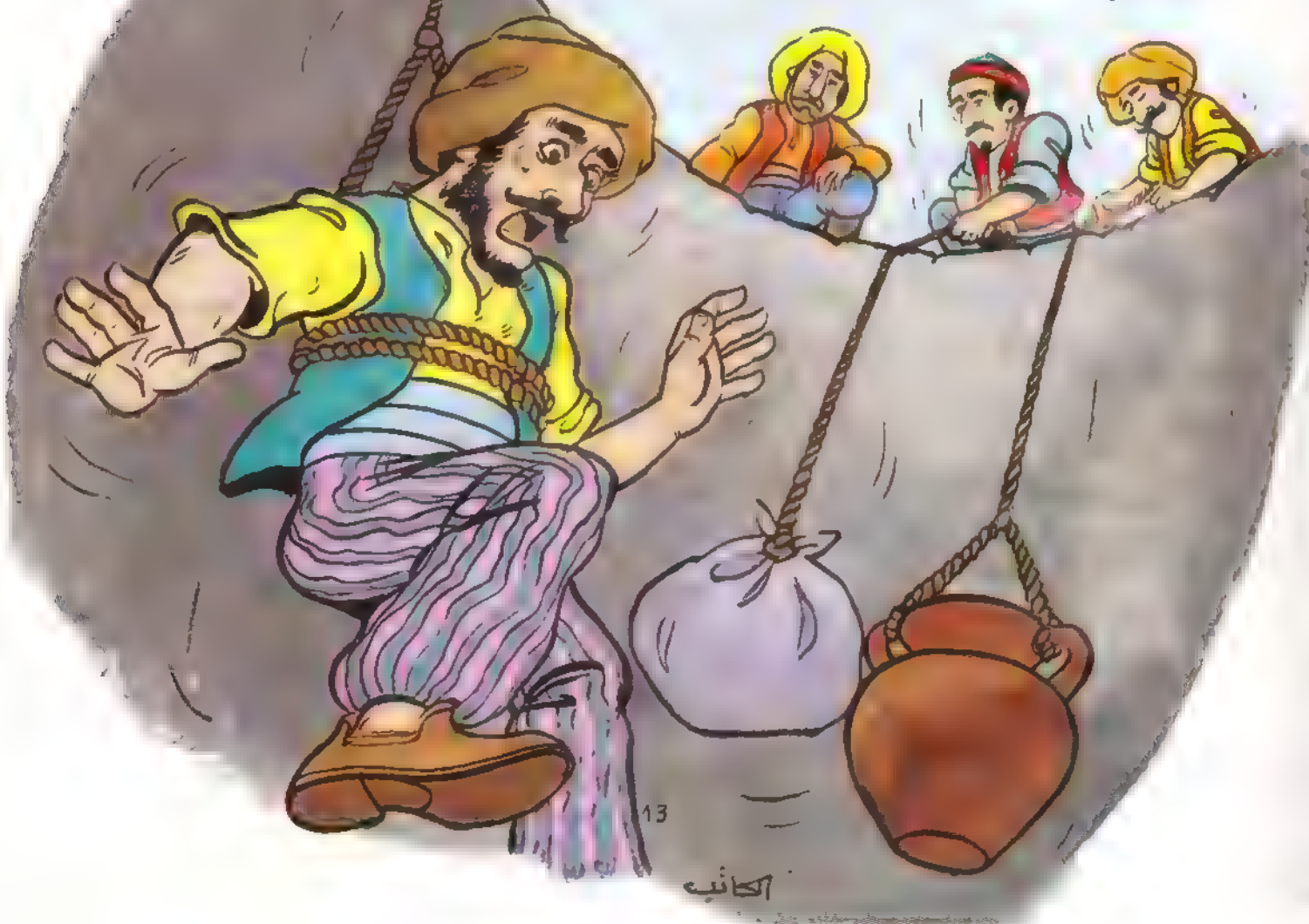
وَسُرْعَانَ مَا تَأْكُذُّ مِنْ صِحَّةِ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ، عِنْدَمَا

سَمِعْتُ النَّاسَ يُعْزَوْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ زَوْجَتِهِ، فَأَمْتَلَأَ قَلْبِي

بِالْحُزْنِ، وَأَخَذْتُ أُرَدِّدُ فِي سِرِّي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَقَدْ

نَجَوْتُ مِنْ شَرِّ السُّودِ، فَوَقَّعْتُ فِي ... وَمَا أَنْتَبَهْتُ إِلَّا وَالْمُنَادِي

يُرَدِّدُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، حَانَ وَقْتُ الدَّفْنِ، فَخَرَجْتُ مَعَ  
النَّاسِ لِتَشْيِيعِ الزَّوْجَيْنِ، كَسِيرَ الْفُؤَادِ، ضَيَّقَ الصَّدْرِ.  
وَلَمَّا أَنْتَهَى الْمَوْكِبُ الْحَزِينُ الْخَاشِعُ، إِلَى رَبْوَةٍ مُشْرِفَةٍ  
عَلَى الْبَحْرِ، وَضَعَ النَّعْشُ قُرْبَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ، أَزَاحَهَا بَعْضُ  
الرِّجَالِ عَنْ مَوْضِعِهَا، فَأُنْكَشِفَ جُبٌّ عَمِيقٌ، أُنْزِلَتْ فِيهِ الْمَرْأَةُ  
مَعَ مَلَأِ بِسَمَاءٍ وَحُلِيِّهَا، ثُمَّ جَاءَ دَوْرُ الرَّجُلِ، فَجِيءَ بِهِ وَهُوَ يَبْكِي،  
وَرُبُطٌ يَحْبِلُ تَحْتَ إِبْطِهِ، وَأُذِلِّي فِي الْبَيْتِ مَعَ سَبْعَةِ أَزْغَفَةٍ،  
وَإِنَاءٍ مَمْلُوءٍ بِالْمَاءِ. وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْقَاعِ، حَلَّ الْحَبْلُ،  
فَسُحِبَ عَلَى الْقَوْرِ، وَغُطِّيَتْ فُوهَةُ الْبَيْتِ بِالصَّخْرَةِ الْكَبِيرَةِ،  
وَعَادَ الْمُشْيِعُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ، يَتَرَحَّمُونَ عَلَى الزَّوْجَيْنِ  
رَفِيقِي الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ.





عُدْتُ مَعَ النَّاسِ مُطَرِّقًا، وَاجِمًا، يَتَرَدَّدُ سُؤَالٌ عَلَى لِسَانِي،  
إِلَّا أَنِّي لَمْ أَتَجَرَّأْ عَلَى إِلْقَائِهِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الرِّفَاقِ خَوْفًا مِنْ  
أَنْ يَكُونَ لِحَوَائِهِ وَقْعٌ لَا تَتَحَمَّلُهُ أَغْصَابِي.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ دَخَلْتُ عَلَى الْمَلِكِ، وَقُلْتُ لَهُ:  
- يَا سَيِّدِي، لِمَ تَدْفُنُونَ الْحَيَّ مَعَ الْمَيِّتِ؟

- تِلْكَ عَادَتُنَا تَوَارَثْنَاهَا عَنْ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا، وَالْهَدَفُ مِنْهَا  
إِلَّا بَقَاءُ عَلَى عَقْدِ الزَّوْاجِ الَّذِي لَا يَبْطُلُ عِنْدَنَا بِالمَوْتِ،  
لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ وَالْوَفَاءِ، أَنْ يَتَمَتَّعَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ  
بِلَذِيذِ الْعَيْشِ بَعْدَ وَفَاةِ شَرِيكِ حَيَاتِهِ.

- وَالْغَرِيبُ، هَلْ تُعَامِلُونَهُ نَفْسَ الْمُعَامَلَةِ؟  
- إِنْ تَزَوَّجَ مِنَّا خَضَعَ لَطَقُوسِنَا، وَعَادَاتِنَا.

فَاطْلَمْتُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِي، وَخَرَجْتُ أَجُرُّ رَجُلِي، وَسُرْعَانَ  
مَا تَمَثَّلَ لِي مَشْهُدُ جَارِي وَهُوَ يَتَدَلَّى فِي الْجُبِّ الْعَمِيقِ،  
بَعْدَ مَا رُمِيَ فِيهِ جُثْمَانُ زَوْجَتِهِ، فَأَقْشَعَرَّ بَدَنِي، وَأَزْتَعَدْتُ  
مَفَاصِلِي، وَفَكَّرْتُ فِي الْهَرَبِ، إِلَّا أَنَّ انْشِغَالِي بِشُؤُونِ الْحَيَاةِ، دَفَعَ  
عَنِّي هَذِهِ الْهَوَاجِسَ، فَأَرَاخَ نَفْسِي، وَطَمَأَنَ بَالِي.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ، أُصِيبْتُ زَوْجَتِي بِمَرَضٍ مُفَاجِئٍ، قَضَى  
عَلَيْهَا فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، فَضَاقَتْ بِي الْأَرْضُ بِمَا رَحَبْتُ. وَبَيْنَمَا  
كَانَ الرِّجَالُ يُعَزُّونَنِي فِي نَفْسِي، وَفِي زَوْجَتِي، كَانَتِ النِّسَاءُ  
يُعِيدُنَهَا لِلدَّفْنِ، لَقَدْ أَلْبَسْنَاهَا أَفْخَرَ الْمَلَابِيسِ، وَزَيَّنَّاهَا  
بِالْحُلِيِّ وَالْقِلَائِدِ، ثُمَّ وَضَعْنَاهَا عَلَى النَّعْشِ، فَحَمَلَهُ الرِّجَالُ  
عَلَى الْأَكْتَفِ، وَقَادُونِي إِلَى الْجُبِّ، وَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ، بَادَرُوا

بِإِنزَالِ الْمَيِّتَةِ، ثُمَّ رَبَطُوا حَبْلًا تَحْتَ إِبْطِي، وَأَنَا أَصْرُخُ، وَأَخْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِأَنِّي غَرِيبٌ لَا أَرْضَى بِعَادَاتِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبَوْا بِي، وَأَنْزَلُونِي إِلَى قَعْرِ الْيَمِّ، وَأَنَا أَصِيحُ وَأَرْدَدُ؛ لَنْ أَحُلَّ وَثَاقِي، وَلَنْ أُعْطِيَكُمْ الْحَبْلَ، فَرَمَوْهُ إِلَيَّ، وَغَطَّوْا الْجَبَّ بِالصَّخْرَةِ وَأَنْصَرَفُوا.

الْقَيْتُ نَظَرَاتٍ حَوْلِي، فَلَمْ أَرَ إِلَّا الْجُثَثَ الْبَالِيَةَ، وَالْعِظَامَ النَّخِرَةَ، وَلَمْ أَسْتَنْشِقْ إِلَّا الرَّوَاحِ الْكَرِيمَةَ، فَأَنْزَوَيْتُ فِي مَكَانٍ مُظْلِمٍ، أَتَأَسَّفُ شَدِيدَ الْأَسَفِ عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَمُتْ قَبْلَ أَنْ أُرْمَى فِي هَذَا الْجَبِّ، ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي: مِنَ الْعَجْزِ أَنْ أَسْتَسْلِمَ لِلْيَأْسِ؛ وَقُمْتُ مِنْ قَوْرِي، أَتَحَسَّسُ مَا حَوْلِي، فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْجَبَّ مُتَّصِلٌ بِكَهْفٍ فَسِيحٍ، لَكِنَّهُ شَدِيدُ الظُّلْمَةِ، فَأَنْتَقَلْتُ إِلَيْهِ.

كُنْتُ وَحِيدًا فِي الْكَهْفِ، أَشْعُرُ بِالْوَحْشَةِ، وَالْغُرْبَةِ، وَالْحُزْنَ وَالْأَلَمَ، لَا أَفَكِّرُ إِلَّا فِي مَصِيرِي. وَعِنْدَمَا أَشْعُرُ بِالْجُوعِ الشَّدِيدِ، أَكُلُ شَيْئًا مِنَ الْخُبْزِ، وَأَشْرَبُ جُرْعَةً مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَسْتَلْقِي عَلَى الْأَرْضِ أَنْدُبَ حَظِي.

وَذَاتَ يَوْمٍ، بَيْنَمَا أَنَا غَارِقٌ فِي أَحْزَانِي، إِذْ سَمِعْتُ وَقَعَ أَقْدَامٍ تَقْتَرِبُ مِنِّي، فَأَمْتَلَأُ قَلْبِي بِالْفَزَعِ، وَالرُّغْبِ، وَجِرتُ فِي أَمْرِي، وَأَخَذْتُ أَحْمَلُ حَوْلِي، فَأَبْصَرْتُ شَبَحَ حَيَوَانٍ يَجْرِي، فَهَرَوَلْتُ فِي إِثْرِهِ، فَرَأَيْتُهُ يَخْرُجُ مِنْ ثَقْبٍ ضَيِّقٍ، يَنْقُذُ مِنْهُ بَصِصًا مِنَ النُّورِ، فَأَنْشَرَحَ صَدْرِي، وَأَسْرَعْتُ إِلَى الْمَنْقَذِ، وَأَخَذْتُ أَوْسَعَهُ بِيَدِي، ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْهُ، فَإِذَا أَنَا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، جَلَسْتُ عَلَى الرَّمَالِ الدَّهَبِيَّةِ، أَمْلَأُ رِئَتِي بِالْهَوَاءِ النَّقِيِّ،



وَأَسْرَحُ نَظْرِي فِي الْفَضَاءِ الْبَعِيدِ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَى الْكَهْفِ، وَأَخَذْتُ مِنْهُ كَثِيرًا مِنَ الزَّادِ، وَمَا قَدَرْتُ عَلَى حَمْلِهِ مِنَ الْحُلِيِّ، وَالْجَوَاهِرِ، وَخَرَجْتُ إِلَى السَّاحِلِ، وَأَسْتَلْقَيْتُ عَلَى رِمَالِهِ، لَا يَتَوَقَّفُ لِسَانِي عَنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ.

بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ تَزِيدُ، بَدَتْ لِي سَفِينَةٌ فِي الْبَحْرِ، فَأَخَذْتُ الْوَحْ لَهَا بِعِمَامَتِي، وَلَمَّا أَبْصَرْتُ زَوْرَقًا يَتَّجِهْهُ نَحْوِي، أَخَذْتُ أَنْتَظِرُ وَصُولَهُ بِقَارِغِ الصَّبْرِ، فَمَا إِنِ انْتَهَى إِلَى الشَّاطِئِ حَتَّى نَقَلْتُ إِلَيْهِ مَا مَعِيَ مِنَ الْبِضَاعَةِ، ثُمَّ أَمْتَطَيْتُهُ، فَأَوْصَلَنِي إِلَى السَّفِينَةِ.

بَادَرْتُ بِشُكْرِ الرَّبِّانِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيَّ هَذَا الزَّوْرَقَ، وَقَدَّمْتُ لَهُ هَدِيَّةً مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ، فَرَفَضَهَا، وَأَعْتَذَرَ لِي قَائِلًا: لَا تَسْمَحْ لِي تَقَالِيدُ الْمِهْنَةِ بِأَخْذِ الْمُكَافَآتِ مِنَ الْغُرَقِ، وَالضَّائِعِينَ، بَلْ تُوجِبْ عَلَيَّ أَنْ أَتَكْفَلَ بِغَدَائِهِمْ، وَكِسْوَتِهِمْ إِلَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى دِيَارِهِمْ.

لَمْ أَذِرْ بِمَا أَتَيْتُ عَلَى الرَّبِّانِ، ثُمَّ أَنْغَمَسْتُ مَعَ الزُّكَاكِ فِي تَبَادُلِ الْفُكَاهَاتِ وَإِنْشَادِ الْأَشْعَارِ، وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَصَلْنَا إِلَى جَزِيرَةٍ كَلَا وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ بِرَوَاجِ تِجَارَتِهَا، بَعْدَ فِيهَا سِلْعَنَا، وَأَبْتِغْنَا مِنْهَا الْبَضَائِعَ النَّفِيسَةَ، ثُمَّ انْتَقَلْنَا إِلَى غَيْرِهَا، وَمَا زِلْنَا نَتَحَوَّلُ مِنْ مَرْقٍ إِلَى آخَرَ، إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَوَدَّعْتُ رِفَاقِي وَوَأَصَلْتُ السَّيْرَ إِلَى بَغْدَادَ أَحْمِلُ الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ، وَالسِّلْعَ الْكَثِيرَةَ، وَالتُّحَفَ الثَّمِينَةَ، فَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا التَّرْحَالِ، وَأُسْتَسَلَّمْتُ لِلرَّاحَةِ بَعْدَ طُولِ الْأَسْفَارِ.

# مكتبة تونسي الخضر، للأطفال

صدر ضمن هذه السلسلة

- |                      |   |
|----------------------|---|
| 11. خبزة الأبناء     | 1. مغامرات السندباد البحري : الرحلة الاولى .  |
| 12. الفيل، براتاب    | 2. مغامرات السندباد البحري : الرحلة الثانية . |
| 13. الدينصور الصغير  | 3. مغامرات السندباد البحري : الرحلة الثالثة . |
| 14. الراعي الطروب    | 4. مغامرات السندباد البحري : الرحلة الرابعة . |
| 15. الصياد الصغير    | 5. مغامرات السندباد البحري : الرحلة الخامسة . |
| 16. من حكم الشيخ     | 6. مغامرات السندباد البحري : الرحلة السادسة . |
| 17. من أدوار جحا     | 7. مغامرات السندباد البحري : الرحلة السابعة . |
| 18. الفيل الصغير     | 8. الوزير والتاجر                             |
| 19. شبح رجل مفقود    | 9. صرة الجواهر                                |
| 20. لغز الخيط الأحمر | 10. بدران ويونان                              |